

الخبر والانشاء والاحتكام إلى مقاييس غير أسلوبية

قسم البلاغيون الكلام إلى خبر وانشاء ، وعرفوا الخبر بأنه ما يحتمل الصدق والكذب ، والانشاء بأنه ما ليس كذلك . وجرهم استخدام الصدق والكذب في هذا التعريف إلى الخوض في معنى كل منهما . وهل الصدق مطابقة مدلول الكلام للواقع الخارجى والكذب انتفاء هذه المطابقة ؟ أو أن الصدق هو مطابقة الخبر لاعتقاد المخبر ولو كان غير مطابق للواقع والكذب فقدان هذه المطابقة ؟

كلا الرأيين نراه في كتب البلاغة العربية ، كما نرى جدلاً واحتجاجاً من أصحابهما . كلٌّ يروم تأييد ما ذهب إليه وتوهين الرأى الآخر ، فمما احتج به أصحاب الرأى الثانى أن من اعتقد أمراً فأخبر به ، ثم ظهر خبره مخالفاً للواقع فإنه يقال ما كذب ولكنه أخطأ ، كما روى أن عائشة رضى الله عنها قالت فيمن شأنه كذلك : ما كذب ولكنه وهم ، وقد رد أصحاب الرأى الأول بأن المنفى تعدد الكذب لا الكذب بدليل تكذيبنا اليهودى إذا قال : الإسلام باطل ، وتصديقنا إياه إذا قال : الإسلام حق . كذلك يحتج أصحاب الرأى الثانى بقوله تعالى في سورة [المنافقون : آية ١] ﴿ والله يشهد إن المنافقين لكاذبون ﴾ فقد كذبهم في قولهم قبل ذلك : ﴿ نشهد إنك لرسول الله ﴾ وان كان مطابقاً للواقع لأنهم لم يعتقدوه .

وقد رد أصحاب الرأى الأول على ذلك بما يأتى :

(أ) أن المعنى نشهد شهادة وافقت فيها قلوبنا ألسنتنا كما يرشد إلى ذلك التأكيد بأن اللام والجملة الاسمية في قولهم : « انك لرسول الله » فالتكذيب راجع إلى الشهادة باعتبار تضمنها خبراً كاذباً وهو أنها من صميم القلب وخلوص الاعتقاد .